

لقد اشتد بي العجب وأنا أتابع هذا الحشد من الكتب التي كان يحرص على مطالعتها و التأشير على المسائل المهمة فيها ، و إرجاع القارئ إلى مصدر موضوع ما أو مسألة ما . فهو قد اطلع على المناظرة الفكرية الفلسفية التي جرت بين أبي حامد الغزالي ( تهافت الفلاسفة - مثلا - ) وابن رشد ( تهافت التهافت ) وليس فهم مثل هذين الكتابين في ميسور أي أحد ناهيك بالتعمق فيها والبحث في أوجه الخلاف الناشئة بين الرجلين القطبين فيما كتبا ، و فهمَ فهما دقيقا ملامح الرؤية الصوفية عند الشيخ محي الدين ابن عربي ، قدس الله روحه ، هذا العالم الفذ الذي أوصله بعضهم إلى درجة " الشيخ الأكبر " بينما اتهمه آخرون بالغلو و الإيغال في الباطنية ، هذه النظرة التي ظهرت على الخصوص في تفسيره للقرآن الكريم ، ومن اطلع على مؤلفات الشيخ محي الدين بن عربي : تفسير القرآن ، الفتوحات المكية و محاضرات الأبرار ، وفصوص الحكم وكتاب الأخلاق وكتابه الأمر المحكم وغير هذه المؤلفات التي نسبت إلى الشيخ محي الدين بن عربي ، والتي ذكر أنها تفوق ثلاثمائة كتاب ، إن أغلب كتبه ليست في متناول القارئ العادي و خاصة " فصوص الحكم " و الفتوحات ، ولهذا فإن الدارس يحتاج إلى نظر ثاقب والى فهم يغوص في أعماق الرموز الصوفية و يحللها ، و قدما قيل عن العالم أنه " من يقرأ فيفهم و يحلل " .

ولقد كان فضيلة الشيخ أحد حفاظ الحديث إلى درجة أنه كان يستشهد بأكثر من عشرين حديثا في مجلس واحد وفي موضوع واحد

ومن حين لآخر ينصرف إلى الكتب الأدبية لما فيها من الامتتاع و  
المؤانسة ، وكان يقول دائما : الكتب الأدبية تهذب الإنسان مثلما النحو  
يحفظ اللسان ، أما الكتب الدينية فهي لبّ الموضوع وجوهره .  
قال معلقا على ما جاء في شعر ابن عبد البرّ الذي عارض بها شاعرا  
آخر حين يقول :

وإذا طلبت من العلوم أجلّها \* فأجلّها منها مقيم الألسن  
فعارضه ابن عبد البر :

فإذا طلبت من العلوم أجلّها \* فأجلّها عند التقي المؤمن  
علم الديانة هو أرفعها لذي \* عقل امرئ متيقظ متدين  
فحاول الشيخ رحمه الله التوفيق بينهما في قوله :

وأقول معترفا بفضلها معا \* متأمّلا ألفاظ قول بيّن  
العلم منه وسيلة أو مقصد \* وكلاهما فرض على المتدين  
فباول يحمي الكلام من الخطأ \* وبه بيان القصد للمتيقن  
لولاه مافهم الكتاب ، ولابدا \* معنى الحديث لعالم متبين  
وبمقصد فاز الألى<sup>1</sup> نالوا الرضى \* من ربنا البرّ الرّحيم المحسن  
فهو الذي يوتى السعادة من غدا \* مستمسكا منه الحبل أمتن  
وهو الذي يعطي العبادة صحة \* لمن اهتدى وبه نجاة المؤمن

(1) لغة في " الدين "

فالحافظ اعتبر المقاصد وحدها \* إذ أنها كفلت مفاز المعنى  
والشاعر اعتبر الوسيلة أنها \* تهدي كمال العلم للمتفّن

الله درهما معا لكتما \* قول ابن عبد البر قول الأديين

فهو قد قارن بين الرأيين وأثبت في النهاية جدوى كل واحد منهما: علم اللسان الذي هو وسيلة لفهم القرآن ومعرفة السنة النبوية ، فكما أنه لا غاية بدون وسيلة ، وكذلك لا معنى لوسيلة لا تصل بالمرء إلى غاية .

ومما كتبه مشطراً! بعض الأبيات لأحد الأدباء وهو يمدح الجلفة

وللجلفة الفخر العظيم وحزبها\* له همة دون المنى ليست تقنع

سرت روح علم الدين في جسمه لذا \* غدا مركز أمنه المخاضن تنبع

يزرى عجبا من راز مسجدهم إذا \* تصدى لتحرير المسائل أروع

يرى كيف طاعات الإله تكون إن \* تبسم ثغر الفجر والقوم ركع

يزرى مجلسا فيه السكينة خيمت \* لسنة خير الخلق يهدي ويتبع

يرى محفلا تتلى المواعظ بينه \* وللوعظ تأثير، يزرى العين تدمع

يزرى حلقة القرآن والقوم حولها \* قلوبهمو من خشية الله تخضع

يرى السنة الغراء تروى لهم وهم \* جلوس على الترتيب والكل خشع

قلله جمع نظمته غناينة \* بجزم وإخلاص به الخير يزرع

لقطع جراثيم الجهالة قد سعى \* فقلد جيد الدهر عقدا يربصع

هنالكم الشهم الشريف الذي عدا \* له صوب جود بالفضائل يهمع

منيع الحمى رب المفاخر والندى \* بهمته عند الشدايد يتفنع

1) - التشطير من فنون الشعر ، وهو أن يأخذ الشاعر بيتا لأحد الشعراء فيحتفظ بالشرط الأول والرابع ، ويضيف لهما شطرين من شعره : الشطر الثاني والثالث .

همام رأى للضيف حقا فما انتنى \* عن البر نهر للمحاويج مترع

فرزه إذا ما شئت بتلوه فقد \* يبرهن عن إخلاصه إذ يودع

والحقيقة أن فضيلة الشيخ سي عطية رحمه الله كان عالما بالنحو متضلعا في اللغة يملك رصيذا كبيرا جدا من المفردات اللغوية التي يرجعها إلى أصولها دون الحاجة إلا نادرا إلى القاموس ، ولهذا جاء أغلب شعره على نمط لزوم ما لا يلزم كجمعه بين حرفين أو حتى ثلاثة أحرف في الروى ، وهو الأسلوب الذي عرف لدى أبي العلاء المعري الذي ألف ديوانا كاملا على هذا النحو وأسماه "اللزوميات" كقصيدته الوعظية في الخشية حين زيارة المقبرة :

إنّ في رؤية المقابر عبرة \* تترك اللبّ في ذهول وحيرة  
كل من ينظر المال يذوب الـ \* قلب منه أسى ويكمد حسره  
بينما المرء في ذويه معافى \* في ابتهاج طغى به ومسره

... ..

إذ أتاه رسول مولاه يدعو \* ه، ولم يرضى في التأخر عذره  
فحرفا الروي ( الرء والهاء) موجودان في كل بيت(حيره، حسره  
مسره ، عذره.. الخ )

وكقصيدته التي ينصح فيها طلابه :

سر في طريق الحق وارع بروضه \* وأطع اله العالمين وأرضه  
ولتتبع ما استطعت للنهج القويم \*مباعد لحزب الهوى في خوضه  
خذ خير زاد للمعاد وأقرض \* الله الكريم تجده مجزل قرضه  
قل لي متى أليفك ذا حرص على \* العلم الرفيع ففي القضايا تمضه!

مَحَضت نصحي أبتغي لك رفعة \*بين الملا واخترت خالص محضه  
فكلمات : ( أرضه ، خوضه ، قرضه ، تمضه ، محضه ) كل هذه  
الحروف الأخيرة كانت قافية ، وهذه عينة بسيطة من شعره رحمه الله  
وقصيدة بعث بها إلى الشيخ سي "علي شنتير" مفتي البليدة آنذاك  
وقد التزم في رويها ثلاثة أحرف هي ( ا ، ر ، ه )  
يقول

www.si-attia.org

أهدي السلام لمن شأى<sup>2</sup> أنصاره \* علما وأخلاقا وحسن عباره  
مفتي البليدة حبرها<sup>3</sup> وإمامها \* لازال يعلي للرشاد مناره  
ما حلَّ نور العلم في قلب امرئ \* إلا جلا<sup>4</sup> بضياته أكداره<sup>5</sup>  
قم يا عليّ فإن حزبك غالب \* والله ينصر مظهر أنصاره  
ولتندعُ محي الدين خير مؤازر \* ورفيقه عبد الحميد وجاره  
في فتية حلت بأرض بلادنا \* فحبت بكل نصيحة مختاره  
أنتم حماة الدين قادة أهله \* لاتضعفوا فالجهل أضرم ناره  
ومن العموم يكاد لا يبقى فتى \* إلا وشدّ وثاقه وأسره  
فإلى متى هذا السكوت ، وديننا \* في غربة يبكي أسى أوكاره  
هذا كتاب الله لم يحفل به \* بل قد يلاقي حاملوه حقاره  
فكانهم سبب التأخر للورى \* فحياتهم في ذا الزمان خساره

(1) تمضيه: حذف الياء هنا لضرورة الوزن حتى لا يكون زائدا ساكنا . إذ الأصل فيها : تمضيه  
(2) شأى شأوه شأوا ( سبقهم ) " قطر المحيط" (3) حبرها أي عالمها(4) جلا: أظهر(5) أكداره: ما شابه أولصق به من سواد

لو قام أهل العلم كلُّ بالذي \* في وسعه أعطى الجهاد ثماره  
لكن تواكلنا فضاغ تراثنا \* بيد العدو ، ولم نشن الغارة  
ما ذا نقول لربنا ونبينا \* إن قال : هل بلّغتموا أسرارهم ؟  
هيا ارفعوا، رفع القويّ لواء \* لاتتركوا أركانه منهاره  
جمع الإله من الجزائر شملها \* وحمى حماها... فتنة ضراره!  
ومحا الضغائن من قلوب عباده \* كي يسعدوا برضاه فيما اختاره

ويقول في أبيات سمّاها " استغائة "

ربّ داو كَوم<sup>2</sup> عبدك و الطف \* يا لطيف به ، ولا تزعجنهُ  
وبه اسلك سبيل قوم أطاعو \* كَ ، ومن حزبهم فلا تخرجنهُ  
واغنه بك عن سواك ، إلهي \* وإلى من عصاك لا تحوجنهُ  
واهده كالذين هديت وصنهُ \* من ذنوبٍ ، وبالتقى توجنهُ  
بك يا سيدي ، إليك دعائي \* فاصرف الهَمَّ والبلا فرّجنهُ  
واكشف الكرب واغفر الذنب واغسل \* لي فؤادي وبالهدى أسرجنهُ  
نلاحظ هنا في الأبيات أن الشيخ التزم ثلاثة أحرف في الروي و هي  
الحيم والنون والهَاء.

لم يكن يُعنى فضيلة الشيخ العلامة الشيخ سي عطية بتسجيل فتاواه فقد كانت الأسئلة التي يتلقاها يوميا من المواطنين وحتى من بعض رجال الدين يجيب عنها في حينها واغلب إجاباته رحمه الله كانت شفوية ومع ذلك فنحن مسؤولون عن عدم تسجيل كل هذه الأعمال التي هي مرجع ديني مهم ، وهذا التقاعس منا نحن ناتج عن عدم اهتمامنا في تلك الظروف بالقيود والكتابة ، وقد تلافى الشيخ رحمه الله هذا الأمر في أواخر حياته فسجل بعض أعماله بنفسه وطلب من الشيخ سي عامر محفوظي تسجيل البعض الآخر ، ولكنها أعمال لا تمثل إلا النزر اليسير من المعارف الدينية والإنسانية التي قدمها خلال فترة نضاله

التي تجاوزت الخمسين عاما ، أما أهم الكتب التي تركها والمواضيع التي تناولها فإنني أخصها في هذا التقديم الوجيز :

1) مؤلف يضم حوالي مائة إجابة فقهية سأذكر عينة منها ، ففي موضوع التصوف الإسلامي كتب إجابة عن سؤال حول قول العارف بالله سيدي إبراهيم بن أدهم : " لن يبلغ الرجل درجة الصالحين حتى يجوز ست عقبات ... إلخ " السائل هو الفقيه العارف بالله الشيخ سي الأخضر ابن خليف رحمه الله أحد محبيه ورفقائه من ذوي الفضل فأجابه بما نصه :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وبعد ، فقد سألتني ، أيها الأخ الكريم أدام الله عزك وستر عجزك وعجزك عن قول العارف الأفهم سيدي إبراهيم ابن أدهم : " لن يبلغ الرجل درجة الصالحين حتى يجوز ست عقبات " فاعلم بأن طريق القوم دراسة وحال من يدعيها اليوم كيف ترى فللقوم أسرار فائضة ، وعبارات غامضة ، وهم إلى المعالي ناهضة لا يفهم عباراتهم ويدرك إشاراتهم ، ويفك رموزهم ويستخرج كنوزهم إلا من دخل بابهم وذاق شرابهم من ذاق طعم شراب القوم يدرك به \* ومن دراه غدا بالروح يشربه أما من كان مثلي في شهوات النفس مكبل ، فهيهات أن يدركها وإن زمر وطبل ، وادّعى أنه الأئبّه والأنبل ، وأين الثريا من الثرى ، وشئان ما بين من سيره إلى إمام ومن سيره إلى وراء



سارت مشرّقة وسرت مغربا \* شتان بين مشرق ومغرب غير  
أنى نزولا عند حسن ظنك ونيتك ورغبتك في تقريبك من أمنيّتك أشرح  
لك كلامهم بكلامهم ذاكرة ما تحصل لي من نفثات أقلامهم، غير مدّع  
الوصول إلى ما وصلوا والوقوف عندما حصلوا:

والدعوى ما لم تقيموا عليها \* بينات أبناؤها أدياء  
فأقول الآداب عند القوم ثلاثة: آداب شريعة و آداب طريقة و آداب  
حقيقة ، فآداب الشريعة امتثال الأوامر واجتناب النواهي و آداب  
الطريقة شهود المنّة والافتداء بالسنة و آداب الحقيقة معرفة مالك وماله  
سبحانه وتعالى ، فلك الفقر وله الغنى ولك العجز والضعف والذل وله  
القدرة والعزة ، والجامع لهذه المعاني كلها قوله صلى الله عليه وسلم  
( من عرف نفسه فقد عرف ربه ) فأشار الشيخ رضي الله عنه  
كالشارح لهذا الحديث بقوله : أن يغلق باب العز ويفتح باب الذل ، العز  
هو نظر العبد إلى نفسه بعين الاستكبار ، وإلى غيره بعين الاحتقار  
، وهو داء عضال يتولد عنه العجب الذي هو من المهلكات ، والكبر  
الذي هو صفة إبليس ، قال في الحكم<sup>1</sup> : " أذفن وجودك في ارض  
الخمول فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه " ، والذل هو إظهار المسكنة  
لينال من الله بذلك العزّ الأبدي ، قال أبويزيد<sup>2</sup> : " قيل لي خزانتنا  
مملوءة، فإن أردتنا فعليك بالذل والافتقار "، وقال الجيلي<sup>3</sup> : " أتيت جميع  
أبواب الحق فوجدت عليها الازدحام حتى أتيت باب الذلة والافتقار  
فوجدته خاليا ، فدخلت منه ، فأنا قد سبقت القوم ، وتركت الناس على

الأبواب ، وقال بعضهم : " طريقتنا هذه لا تصلح إلا لمن كنست بأرواحهم المزابل "، ومن هذا يظهر لك سر قوله تعالى { ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة } و قوله رضي الله عنه : " وأن يغلق باب النعمة ويفتح باب الشدة " قيل أجمع العلماء والحكماء على أن كمال النعيم في الآخرة لا يدرك إلا بنقص النعيم في الدنيا ، وقال وهب بن منبه : " من لم يعدَّ البلاءَ نعمةً والرخاءَ مصيبةً ، فليس بفقيرٍ " فالقوم يتلذذون بالشدائد ، كما يتلذذ غيرهم بالموائد ، لأن الشدائد توجههم إلى الله تعالى، ومن أحب الله أحب ما يقربه إليه ، ويذكره به فإنهم كانوا ينظرون إلى أهوال يوم القيامة من هذه الدار، وذلك هو

(1) الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري الصوفي

(2) - وأظنه : أبا يزيد البسطامي ، - الجيلي : الشيخ عبد القادر الجيلاني

الذي منعهم من لذائذ الدنيا وطيباتها ، وخائفين من أن يقال لهم { أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا و استمتعتم بها } وقوله رضي الله عنه : " وأن يغلق باب الراحة ويفتح باب الشقاء " يعني أن المؤمن لا ينبغي له أن يركن إلى الراحة والبطالة فإنه ما خلق لذلك، قال تعالى { وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون } وقال النبي صلى الله عليه وسلم ( قل أمنت بالله ثم استقم ) فالسالك لا يشتغل بشيء سوى العبادة مستحليا فنائه فيها، مستغرقا في معانيها، إذ صار هواه طاعة ربه. يروى أن عيسى بن مريم عليه السلام قال " الجنة في شينين : ترك الراحة والشهوات " . وقوله رضي الله عنه " وان يغلق باب

النوم ويفتح باب السهر " مأخوذ من قوله تعالى { كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون } وقوله جل شأنه { تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، يدعون ربهم خوفا وطمعا } وقوله عز وجل { والمستغفرين بالأسحار } وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم الليل حتى تورمت قدماه" ومن طلب العلا سهر الليالي"

وقوله رضي الله عنه : " وأن يغلق باب الغنى ويفتح باب الفقر " قال تعالى { إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى } ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم ( إياكم ومجالسة الموتى ) ، قيل يا رسول الله " ومن الموتى ؟ " قال ( هم الأغنياء ) ، والمراد موتى القلوب ، قد أسكرتهم

الدنيا بخمرتها فأنستهم أعمال الآخرة ، وما أحسن قول يحيى بن معاذ الراوي : " الدنيا خمر الشيطان من سكر منها لم يفق إلا في عسكر الموت نادما مع الخاسرين " ، وفي الحكم : " إن أردت ورود المواهب عليك صحح الفقر والفاقة لديك { إنما الصدقات للفقراء } وقوله رضي الله عنه : " وأن يغلق باب الاستعداد " مأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم ( كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ) وهو أصل في قَصْر الأمل في الدنيا لأن المؤمن لا ينبغي له أن يتخذ الدنيا وطنا ومسكنا فيطمئن إليها ، ولكن ينبغي أن يكون فيها على جناح السفر وفي الحديث ( مالي وللدنيا إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها ) ، ومن وصايا عيسى عليه السلام : " اعبروها ولا تعمروها " من ذا الذي يبني على موج البحر دارا ، تلکم الدنيا فلا

تتخذوها قراراً " ، والحاصل أن حال المؤمن دائر بين أمرين : إما أن يكون كأنه غريب همه التزود للرجوع إلى وطنه ، أو يكون كأنه مسافر غير مقيم البتة، بل هو ليله ونهاره سائر إلى بلد الإقامة ، ومن كانت هذه حاله في الدنيا فهمه الزاد لدار المعاد عساه أن ينال الإسعاد يوم يقوم الأشهاد ، قال الشاذلي رضي الله عنه : " إذا أردت عزَّ الدارين فادخل في طريقنا هذا يوماً أو يومين " ولأبي مدين قدس الله سره

مالذة العيش الا صحبة الفقراء \* هم السلاطين والسادات والأمرء

جعلنا الله وإياك من المتمسكين بأذيالهم ، فإنهم القوم لا يشقى جليسهم لهم خلقنا بأخلاقهم الكريمة واسلك بنا طريقهم القويمة ، واحشرونا في زميرتهم تحت لواء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . وأما في تقسيم

الوحي المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والذي ذكر أنه ينقسم إلى ثلاثة أقسام ، فقد سئل عنه رحمه الله فأجابته :

الحمد لله ، اعلم أيها السائل أن التقسيم الذي ذكرت لم أطلع على حديث يؤيده من جهة الرواية فيما طالعت من كتب الحديث ، أما معناه فصحيح لا شك فيه بدليل قوله عز وجل { عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول } ، مع قوله { وما كان ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء } ووجه الدلالة أن ما علمه الرسول من الغيب وأسرار الربوبية لا يجوز له إفشاؤه ، فيكون

هو القسم الذي أمر بكتمانه ، وأما القسم الثاني المخير فيه فدليله ما روي عن حذيفة اليماني رضي الله عنه ، وقد قيل له "نراك تتكلم كلاما لم نسمعه من أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن أين أخذته ؟" فقال " خصّني به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان الناس يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه " ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال " أعطاني حبيبي جرابين من العلم لو بثنت لكم أحدهما لقطع مني هذا الحلقوم " وأما الدليل الثالث فقول الله عز وجل { يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته } مع قوله { اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً } فأنت ترى من هذه الأدلة أن تقسيم العلماء الوحي إلى ثلاثة أقسام : قسم لا يجوز كتبه عن أحد وقسم لا يحل إفشاؤه وقسم مخير فيه هو تقسيم صحيح ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

لقد كان فضيلة الشيخ سي عطية رحمه الله مؤيدا لمذهب أهل السدل في المذهب المالكي ، والدعاة له كالشيخ خليل وأبي القاسم وغيرهم ، وقد سألته يوما هل السدل في الصلاة هو وارد أم القبض ؟ فأجابني فضيلة الشيخ وهو واسع الإطلاع في مختلف المذاهب الإسلامية : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبسط يديه ( يصلي بالسدل ) في بداية حياته ثم صلى بالقبض فترة من الزمن ثم عاد في أواخر حياته إلى السدل ، والذين يؤيدون الصلاة بقبض الأيدي يعتمدون أحاديث وردت

في هذا الشأن ، وقد ورد مثلها في موطأ الإمام مالك غير أن الإمام مالك كان يعمل بعمل أهل المدينة المنورة من التابعين الذين وجدهم يصلون بالسدل ، فهو قد عمل بعمل أهل المدينة ولم يعمل بما رواه من حديث ، وقد ألححت على الشيخ رحمه الله في أن يوضح لي أكثر هذا الخلاف الجاري بين العلماء في القبض و السدل ، مع أن ترك أحدهما والعمل بالتثاني لا يبطل الصلاة ، فقال لي " إن الذين اعتمدوا القبض كسنة عملوا بقوله صلى الله عليه وسلم ( أمرنا بتقديم الفطور وتأخير السحور ووضع اليمنى على اليسرى في الصلاة ) ، وأما حجة أهل السدل فما ورد عن قصة خلاد بن رافع مع النبي صلى الله عليه وسلم يقول له ( أعد صلاتك فإنك لم تصل ) وعندما قال خلاد بن رافع لرسول الله صلى الله عليه وسلم " لا أحسن غير هذا ، عرفه رسول الله كيف يصلي بالتفصيل ولم يقل له ضع يدك اليمنى على اليسرى ، والسكوت هو حجة لأهل السدل. ولقد كان الشيخ العلامة الطاهر العبيدي متعصبا للقبض ويدافع عنه وكانت له صلوات كبيرة بفضيلة الشيخ سي عطية رحمهما الله جميعا وهو يعرف مدى تمسك الشيخ سي عطية بالسدل ، فأرسل له كتابا يؤيد السدل وقال له سيلاقى قبولا في نفسك ، فكتب له الشيخ سي عطية هذه الأبيات :

ألا أيها الشيخ المصيب فراسته \* لقد راق لي شرح وراقت دراسته  
وما ذاك منّي يا إمام تعصّب \* لمذهب أهل السدل دامت حراسته  
ولكن في رفع الخلاف سقوط من \* روى السدل عن حبر تجلّت قداسته  
وفي ردّ بعض القول ردّ لكّيه \* وذا القول لا يرضاه للعلم ساسته  
وحسبي تقليد الإمام بن قاسم \* إذا فاتني علم النبا ، ودراسته

---

قلت : وقد ورد في صحيح الترميذي الجزء الثاني من أبواب الصلاة : " وقال بعضهم إنما كره السدل إذا لم يكن عليه إلا  
ثوب واحد فأما إذا سدل على القميص فلا بأس ،  
وهو قول أحمد ، وقد ورد في صحيح مسلم ما يؤيد ما جاء في شرح صحيح مسلم لأبي عبد الله السنوسي الجزء الثاني في  
باب أحاديث رفع اليدين في الصلاة : الثالث يرفع غير مكبر ثم يكبر ويداه قائمتان ثم يرسلهما " ويرسلهما يطلقهما دون  
قبض ( أي سدل )

فما مثله في أهل مذهبنا لذا \* تقدم عنهم في الكتاب روايته  
وما لي لا أرضى بما قد رضي به \* خليل، ومن في النقل صحت أمانته  
وللطاهر الأرضي العبيدي تحية \* وحفّته من رب الأنام عنايته.

والحقيقة أن قضية التعصب للسدل أو القبض ليست من جوهر الإسلام ،  
فالصلاة بسدل اليدين ليست باطلة كما أن القبض لا يفسدها فالعبرة بالأصول لا  
بالفروع و الجزئيات .

---

(1) هذه الفتنة التي حذرنا منها دين الله ، ومنح الله الشيخ سي عطية الإحساس بقرئها ، فقد قال لي في أحد  
الأيام : ستأتي فتنة عمياء أرجو الله أن يحفظكم منها وأن أقضي قبلها وقد تويى رحمه الله عام 1989  
(3) كلوم : جروح ( المعجم الوسيط )

## - تأثيره في المجتمع ومدى حب الناس له -

### وبعض الأجوبة الذكية التي تبرز بدهاء الشيخ :

أولا ينبغي طرح السؤال التالي : لماذا أثر فضيلة الشيخ سي عطية رحمه الله وشغل الناس ؟ وسؤال مثل هذا رحب الإجابة لأن الإجابة عنه متعددة الجوانب .

هناك علماء قد يؤثرون في الناس لما يتمتعون به من فصاحة وأداء جيد ومعلومات مستفيضة، ولكن هذا التأثير محدود الزمان، ضيق المساحة ، فمثل هذا التأثير ظرفي لأنه يعتمد على الإعجاب وليس على الإقناع ، قد ينال بعض علمائنا إعجاب من حولهم ولكن لا ينالون حبهم وثقتهم ، والثقة في العالم ناجمة عن سلوكه وعمله اليومي ، وليس عما يقوله للناس ، وبين القول والفعل يتمايز الرجال. لماذا نال فضيلة الشيخ ثناء الناس وحبهم وثقتهم ؟ لأن العالم الحقيقي ليس من يقول للناس افعلوا كذا وامتنعوا عن كذا ، وإنما من يراه الناس مثلا لهم في الفعل عندما يكون أداء وقوة لهم في الإقلاع عندما يكون اجتنابا .

رأوا بيته مشرعا وكرمه مترعا للقادمين وعابري السبيل ، قبل أن يقول لهم افتحوا قلوبكم وبيوتكم لقاصديكم، كان جوادا منقفا بلا تردد، باسطا يده بلا حساب ، سبّاقا لفعل الخير ، وكان أثناء تجواله يطلب لأحد رفقائه أن يشتري له الحلويات فيعطيه المبلغ أولا حتى لا يدفعه لتسديده من عنده ، فيوزع تلك الحلويات على الأطفال في القرى التي كان يزورها من حين لآخر ، وقد ألفه هؤلاء الأطفال فأصبحوا يجتمعون حوله ويبتهجون بمقدمه. وأعطى مثلا لكرمه فقد كان خلال شهر رمضان ، وقد كنت أأزمه في الإفطار دائما ، فيقول لي بعد أن نكون قد وضعنا حبة التمر في أفواهنا " أخرج أمام الباب وتفقد فقد يكون من هو في حاجة إلى تناول الفطور" وأفعل ، وكنت في أغلب الأحيان أجد من ينتظر ليفطر ، وكان يبتهج ويسر ويظهر هذا على أسارير وجهه حين يجد من يفطر معنا. ومن الغريب أن بعض المسافرين وعابري السبيل الذين كانوا يأتون إلى الجلفة عندما يلتقون ببعض الأغنياء طالبين معونتهم كانوا يقولون لهم : اذهبوا إلى بيت الإمام الشيخ سي عطية ستجدون عنده ما تحتاجون ولن يخيب رجاءكم فهو معروف بهذا ، فكان الشيخ رحمه الله حينما يذكرون له ذلك يبتسم ، ويقول " الحمد لله الذي جعلني غنيا يتوافد علي المحتاجون ، اللهم قوّ عزيمتي ". وكان فضيلة الشيخ يصلح ذات البين ويسعى لحب الخير وإشاعة المحبة بين الناس ، وكان الناس عندما تستعصي عنهم الأمور يجدون لدى فضيلته الحكم العدل. أذكر أنه حدث وأن قتل أفراد قبيلة شخصا من قبيلة أخرى ، وبدأت نزعة الثأر تحرك المشاعر عند قبيلة القتيل ، وقد وقعت هذه الحادثة في محيط دار الشيوخ ، فأقامت قبيلة المقتول الدنيا وهددت بالانتقام لابنها ، واصطفت القبيلتان وهم يحملون السلاح استعدادا



للمواجهة ، وحاول المسؤولون باللين مرة وبالقسوة مرة أخرى تليين الجانبين ، ولكن دون نتيجة . وجاء عدد من أعيان البلد لفضيلة الشيخ من أجل التدخل فقد يقضى الأمر إلى مشادات ونزاعات لا نهاية لها بين القبيلتين وذهب الشيخ رفقة هؤلاء الأعيان إلى بيت القتل حيث وجد الجميع الأصابع على الزناد ، وعندما وصل استقبله الجميع بالحفاوة والترحاب ، وبعد أن سلم عليه الجميع ظل واقفا فقال صاحب البيت وهو والد الضحية ، اجلس معنا يا حضرة الشيخ ، فقال له " لا أجلس حتى أعرف أن الموضوع الذي جئت من أجله سيجد على يديكم الحل " فأجابه والد القتل " كلامكم على رؤوسنا ولن يكون إلا ما قررتموه أنتم " فمهد بكلمة وعظ وإرشاد انصبت كلها على العفو والصفح والتسامح وكظم الغيظ مستمدا كل ذلك من القرآن الحكيم والحديث النبوي الشريف ، فقال والد الضحية - موجها الخطاب إلى فضيلة الشيخ - " لو أنني أعلم أن مجيئكم إلينا يكلفني أولادي لضحية بهم ، إن وجودكم بيننا شرفني وزادني رفعة أنا وكل هذه القبيلة " وتحول المجلس الذي كان جاثما على بركان من نار إلى جو مصالحة ومعانقة بين الجميع وأخذت البنادق التي كانت مصوبة للصدور ، مرفوعة في السماء للاحتفال بهذا الحدث الكبير .

كان سكان هذه المنطقة لا يصومون أو يفطرون إلا عندما يتأكدون من أن الشيخ قد صام أو أفطر ، فكانوا يأتون إليه يسألونه - بعد أن يكونوا قد سمعوا من المذيع الإعلان بالصيام أو الفطر - إن كان هذا يوم صوم أو يوم فطر .

إن تحرّيه وتوخيّه الحقيقة في أمور الدين جعلت منه مرجعا لا يوثق في أحد سواه . إن تعلق الناس الشديد بشخصيته ليس نتيجة للعلم وحده ، فقد يكون المرء عالما ولكنه ليس قدوة ، وقد يكون هذا العالم يتقرب من الناس ، ولكن الناس ينفرون منه ، هذه حقيقة شاهدناها ، إن الناس يؤمنون بالعلم عندما يترجم إلى عمل ، وهذا سرّ تعلق الناس بالإمام الشيخ سي عطية رحمه الله .

أذكر ، ونحن تلاميذ ، أن بعض المدمنين على شرب الخمر كانوا يأخذون أمكنتهم كل جمعة - قبالة المسجد - واضعين أظهرهم على جدار السينما يستمعون لدروس الإمام بالمسجد ، وكثير من هؤلاء تاب على يده ، وأذكر أن من بينهم أحد السكيرين الذي حذره الطبيب من التوقف عن شرب الخمر دفعة واحدة لما يلحقه من ضرر، وعندما قال له الطبيب ذلك قال له " لقد أعطيت عهدا للإمام الشيخ سي عطية أن لا أقرب الخمر مرة أخرى ، وهو عهد قطعته على نفسي " ، وقد تاب الله على هذا الرجل وهو الآن يسكن بقرية عين معبد يعرفه الخاص والعام .

وكثير ممن هداهم الله على يده ، وهكذا يؤثر العالم بمميزات ليست هي العلم وحده ، وأذكر أن أحد المهاجرين إلى فرنسا والذي عاش فترة طويلة يعمل ضمن أفراد شركة أجنبية كلهم غير مسلمين فكان لا يصلي ولا يؤدي الواجبات الدينية ، وقد استمر ما يقرب من عشرين عاما لم يصم فيها يوما واحدا ولم يصل أثناءها ركعة واحدة ولكنه عندما عاد إلى بلده أحس بالذنب وشعر بضرورة تصحيح الخطأ والتوبة إلى الله ، فذهب إلى عدد من الأئمة ليسألهم ماذا يفعل فأجابوه بأنه عليه أن يقضي كل ما فاته من الصلوات ( أي عليه أن يقضي 36500 صلاة ) ، إذا اعتبرنا السنوات التي يقضيها عشرين عاما ، و عليه أن يصوم القضاء والكفارة ( أي حوالي 36000 يوم ) أي أن عليه أن يصوم أكثر من مائة عام ، فاستعظم هذا العمل ورآه أمرا تعجيزيا ، فأشار إليه أحد أصدقائه بأن يذهب إلى الإمام الشيخ سي عطية ليسأله السؤال الأخير ، وعندما جاء إليه وحكى له الأمر قال له " يا ولدي التائب من الذنب كمن لا ذنب له " الدين يسر ولا يكلفك ما لا تطيق ، ابدأ صلاتك وصومك وأداء واجباتك منذ هذه اللحظة فالله يقبل الرجوع إليه إذا عدت إليه بصدق وإخلاص " ، وفرح الرجل وأخذ منذ ذلك الحين يؤدي الفرائض ويستغفر الله على ما ارتكب من ذنوب حتى وافاه الأجل رحمه الله . هذه بعض الصفات ذكرتها كنماذج فقط ، وإلا فمواقفه كثيرة رحمه الله .

### نماذج من نثره

سئل قدس الله روحه عن الملائكة هل هم يخلقون ويتناسلون كالمخلوقات الأخرى ؟  
فأجاب : الحمد لله ، قال العلامة المحدث عبد الله صديق الغماري في تعليقه على " بشارة المحبوب " : تنبيه جاء في كثير من الأحاديث من عمل كذا خلق الله من ذلك العمل ملكا يسبح أو يحمد الله . الخ وكلها أحاديث باطلة والملائكة مخلوقون جميعا قبل آدم عليه السلام خلقهم الله من نور كما ثبت في الصحيح ، وهم لا يتناكحون ولا يتناسلون ولا يموتون إلا عند انقراض العالم وفناء الدنيا فلا ملك يخلق الآن لا من عمل ولا من غيره والملائكة أفضل من جميع بني آدم إلا الأنبياء عليهم السلام ، وهم كالأنبياء معصومون ، هذه حقائق يجب أن نعرفها واغلب الناس يخطئون فيها .

- وسئل عما يوضع عند أضرحة الأموات من صور وشموع ما حكمه ؟

فأجاب بقوله : ما يوضع عند أضرحة الصالحين من الصور والشموع لا وجه له شرعي ، بل هو من الإسراف المنهي عنه شرعا ، وتضليل للبطاء والأغبياء ، فالأولى أن ينتفع به الأحياء أما الميت فحيث تركه أهله من غير رجعة ، والله أعلم.

- وله في الرد على من أفتى ببطلان صلاة أهل الجزائر وسائر عباداتهم بدعوى أنهم تحت حكم الكفار! فقال ما نصه : الحمد لله ، كثيرا ما يكون الشخص مريضا ولا يشعر بأنه مريض ، وكم من مستحسن أمر ليس بالحسن ومن هذا النوع من أفتى ببطلان صلاة المسلمين وتحريم دخول مساجدهم بدعوى أنهم تحت سيطرة الأجنبي ، وساق أحاديث مستدلا بها على ما ادعاه من غير تمييز ما يصح الاستدلال به وما لا يصح غير مبال بوعيد { ولا تقف ما ليس لك به علم } ، جاهلا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يجعل بين المسلم والكافر إلا ترك الصلاة ،

1) قلت : حدث هذا عندما كانت الجزائر محتلة من طرف الفرنسيين

وقول الله عز وجل { واستعينوا بالصبر والصلاة } ، وقوله { إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا } ، أما الحديثان اللذان استدل بهما الكاتب فكلاهما منسوخ بحديث ( لا هجرة بعد الفتح ) كما قاله أرباب هذا الشأن الذين يفهمون ما يقولون ، قال الخطابي كانت الهجرة واجبة في أول الإسلام على من أسلم لقلّة المسلمين بالمدينة وحاجتهم إلى الاجتماع فلما فتح الله مكة ودخل الناس في دين الله أفواجا سقط فرض الهجرة ، وساق الحديثين وهما قوله صلى الله عليه وسلم ( لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية ) وقوله صلى الله عليه وسلم ( المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه ) ، قال بعض شراح الحديث : وهذا الثواب

أي ثواب من هاجر ما نهى الله عنه لا يقل شأنًا عن ثواب المهاجرين من مكة إلى المدينة إن لم يزد عنه ، فالمهاجر الحقيقي هو من ضرب بينه وبين ما حرم الله حجابا حصينا وفي مثل هذا المهاجر ورد قوله صلى الله عليه وسلم ( العمل في الهرج كهجرة معي ) ، وقوله ( للواحد منهم أجر خمسين ، قالوا يا رسول الله ، منا أو منهم ، قال بل منكم لأنكم تجدون على الخير أعوانا ولا يجدون على الخير أعوانا ) ، و أما ما حكاه صاحب المعيار فقد محصه قبله أهل الاستنبصار ولم يعرجوا عليه ، ولا ذكروه في مؤلفاتهم إيدانا منهم بأنه غير معتمد ، وكذلك تراه خان أمانة النقل فيما نقله عن الكتاب

" النور المبين " ، ونصه : - بعدما عدّ الشروط التي تجب فيها الجمعة - ومنها تكون الجماعة فيها كفاية لدفع الصائل عادة ، وأما دفع الجيش العرمرم فلا يصح اشتراطه لأن مثله تعجز عنه الأمصار هذا ، ومن قال من العلماء ببقاء وجوب الهجرة قيده بقيود منها : أن يكون بدار الكفر

لا بدار الإسلام ، وألا يكون له أهل وعشيرة ، وألا يمكّنه العدو من إقامة شعائر دينه ، كما حكاه النووي عن الما وردى فكيف يطبق هذا الحكم على شعوب إسلامية في أوطانها غير ممنوعة من إقامة شعائر الدين ، أليس هذا فوق الجنون بمراحل ؟ ولقد نص الفقهاء الذين هم قادة الأمة والملجأ لها في كل نازلة مدلهمة ، على أنه إذا تغلب الكفار على أرض المسلمين ولم يمنعوهم من القيام بشعائر دينهم وجب عليهم أن يقيموها ، وممن صرّح بذلك الإمام ابن العربي في أحكامه والأبّي في شرحه لصحيح مسلم والشيخ عليش في فتاويه والدسوقي في حاشيته على المختصر ، ومن هنا يتبين - كما قال بعض علماء الأزهر الشريف - أن ما تقوله هؤلاء على الشريعة باطل لا أصل له من سنة ولا كتاب ولا نصيب له من الصواب، وإنما هي أوهام يلقي بها الذين أبوا أن يجيبوا داعي الله ويسعوا إلى ذكر الله ، هادانا الله وإياهم سواء السبيل ، وجنبنا بمنه الضلال والتضليل .